

الاستعارة في آيات الإيمان والكفر في سورة البقرة

ثناء عائشة خان

قسم اللغة العربية بالجامعة الوطنية للغات
الحديثة إسلام آباد.

د. سلمى شاهدة

الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية
بالجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد.

Abstract :

The Metaphor in Verses Relating to faith and infidelity in Surah Al-Baqarah

Quran is the revealed literature of Islam consisting of commandments of Al-mighty Allah. The Quran is a matchless and unchallengeable book of Allah. The arrogant Arabs tried to bring up with identical literature in terms of eloquence and rhetoric but they failed to do so. That's why the Holly book of Allah is studied by researchers from different perspectives including its rhetoric and still the pearls and diamonds of its beauty can be found in this pregnant literature.

This article deals with a figure of beautification of Quran known as metaphor (*Iste'arah*). Metaphor is of three kinds in Arabic literature namely, Tasrihiah, Makniah, and Tamthiliah. In this article, I have studied metaphor only in those verses of Surah

al Baqarah that deals with faith and infidelity. As per my research in this Surah, I found all the three kinds of metaphor which I have explained with examples and in the light of authentic books of rhetoric written by classical and modern scholars.

Keywords: Rhetoric, Metaphor, Quran, Al-Baqara

التعريف اللغوي للاستعارة:

تقول العرب: استعار فلانُ المال، بمعنى طلبه على أن يكون عارية عنده، وبصده يقدم عبدالرحمن حبنكة توضيحاً بأنها طلب شيء من الأشياء؛ من أجل الانتفاع به لزمين محدود دون مقابل لذلك الانتفاع، وبشرط أن يرده المستعير إلى مالكه المعير إياه إذا انتهت المدة المحددة، أو إبان طلبه.⁽¹⁾ "من العارية، وهي نقل الشيء من شخص إلى آخر، يقال استعاره ثوباً فأعاره إياه، ومنه قولهم: كير مستعار"⁽²⁾.

التعريف الاصطلاحي للاستعارة:

يعرفها أحمد الهاشمي بأنها استعمال الكلمة في غير ما وضعت له، لوجود علاقة التشابه بين المعنى الذي نُقلت عنه، والمعنى الذي استعملت فيه، مع توفر قرينة تصرف عن أن يكون المعنى الأصلي هو المراد.⁽³⁾

"وأشار عبدالرحمن أن الاستعارة هي استعمال لفظ في غير ما وضع له في اصطلاح به التخاطب لعلاقة مشابهة مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الموضوع له في اصطلاح به التخاطب"⁽⁴⁾ "وعرفها الإمام عبد القاهر بقوله: "الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظاهره فتعيه وتجيء إلى اسم المشبه به للمشبه وتجره عليه"⁽⁵⁾.

وحّد الرماني الاستعارة بقوله: "هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل". وقال ابن المعتز: "هي استعارة الكلمة لشيء لم

يعرف بها من شيء قد عرف بها" (6) وعرفها ابن أبي الإصبع المصري بقوله: "هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه" (7).

الاستعارة التصريحية

وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به. (8) وهي أن يذكر في الحديث المشبه فقط، وتسمى بالاستعارة التصريحية، وكذلك بالاستعارة المصرحة (9).

شواهد الاستعارة التصريحية التبعية في آيات الإيمان والكفر:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٍّ بُكْمٍ عُمِّيٍّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (10)

في الآية السابقة استعارة تصريحية، من خلال تشبيه الكفار بالصم الذين لا يسمعون، وتشبيههم بالكم الذين لا ينطقون، وبالعمي الذين لا يرون، وحذف المشبه في هذا التشبيه، وبقي المشبه به موجوداً. (11)

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (12)

ففي قوله تعالى (مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) "استعارة تصريحية حيث شبه الكفر بالظلمات، والإيمان بالنور، قال في تلخيص البيان: وذلك من أحسن التشبيهات، لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد، والإيمان كالنور الذي يؤمه الجائر ويهتدي به الحائر، وعاقبة الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب". (13)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (14)

في قوله تعالى (إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ) "أي إلا وقت إغماضكم فيه أو إلا بإغماضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية أو الاستعارة التصريحية. حيث شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمؤاخذة بغض العين عما يتفادى المرء رؤيته مما يكره".⁽¹⁵⁾

الاستعارة المكنية

"إذا ذكر في الكلام المشبه فقط وحذف فيه المشبه به وأشير إليه بذكر لازمه المسمى فاستعارة مكنية"⁽¹⁶⁾. عرفها الخطيب القزويني بقوله: "قد يضم التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به"⁽¹⁷⁾

فالاستعارة المكنية ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه.⁽¹⁸⁾

الشواهد الواردة للاستعارة المكنية في آيات الإيمان والكفر:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁹⁾

(وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) فيه استعارة مكنية، شبه حب عبادة العجل، بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية". قال في تلخيص البيان: "وهذه استعارة، والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبه، فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء المملوؤ". أقول: "هذه صورة رأيعة فريدة، من روائع البيان، فكأن حب العجل شراب حلو لذيذ، خالطت حلاوته الأفواه والأمعاء، فسرى فيها كما يسري الشراب في مسالك البدن."⁽²⁰⁾

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَقْفُوا إِلَّا بِجَبَلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَأْوُ بِعَضْبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (21)

في قوله سبحانه و تعالى (اضْرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) هذا من ضرب الخيام والقباب. ففيه استعارة مكنية تخيلية وقد يشبه إحاطة الذلة واشتمالها عليهم بذلك على وجه الاستعارة التبعية. (22)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (23)

(وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ) فيه استعارة مكنية، شبه حب عبادة العجل، بمشروب لذيذ سائغ الشراب، وطوى ذكر المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهو الإشراب على طريق الاستعارة المكنية. قال في تلخيص البيان: وهذه استعارة، والمراد وصف قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكأنها تشربت حبه، فمازجها ممازجة المشروب، وخالطها مخالطة الشيء المملوذ". أقول: هذه صورة رائعة فريدة، من روائع البيان، فكأن حب العجل شراب حلو لذيذ، خالطت حلاوته الأفواه والأمعاء، فسرى فيها كما يسري الشراب في مسالك البدن. (24)

الاستعارة التحقيقية:

وإذا كان المستعار له محققاً حساً بأن يكون اللفظ قد نقل إلى أمر معلوم، يمكن أن يشار إليه إشارة حسية، كقولك: رأيت بحراً يعطي، أو كان المستعار له محققاً عقلاً بأن يمكن أن ينص عليه، ويشار إليه إشارة عقلية كقوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) أي الدين الحق فالاستعارة تحقيقية. (25)

وإذا كان اللفظ المستعار اسماً جامداً لذات كالبدن، إذا استعير للجميل، أو اسماً جامداً لمعنى كالقتل إذا استعير للضرب الشديد سميت الاستعارة "أصلية"

في كل من التصريحية والمكنية، كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾⁽²⁶⁾ وكقوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾⁽²⁷⁾

شواهد الاستعارة التحقيقية في آيات الإيمان والكفر:

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾⁽²⁸⁾

قوله (وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي) الشراء هنا على سبيل الاستعارة كما تقدم في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ﴾⁽²⁹⁾.

الاستعارة التمثيلية

وهي عبارة عن تركيب يستعمل في غير الذي اصطلاح على وضعه له؛ من أجل وجود المشابهة بين الاثنين، مع توفر قرينة تمنع من أن يكون المعنى الحقيقي هو المقصود، وذلك عن طريق تشبيه إحدى الصورتين المستنبطتين من شيئين أو أكثر بالصورة الأخرى منهما، ثم إدخال صورة (المستعار له) وهو المشبه، في صورة (المستعار منه) وهو المشبه به، مثل إدخال الفرد في مجموعته الكلية؛ بغرض المبالغة في التشبيه.⁽³⁰⁾

الشواهد الواردة للاستعارة التمثيلية في آيات الإيمان والكفر:

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾⁽³¹⁾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ استعارة تمثيلية، تشبيه لحال المنافقين مع الله تعالى في كونهم يظهرون الإيمان ويخفون الكفر بحال الرعية المخادعة لسلطانها، واستعير المشبه به هنا في الآية للمشبه عن طريق الاستعارة.⁽³²⁾

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ

يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿33﴾

استعارة في قوله تعالى وَسَطًا وهو في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كالمركز ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكونها أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها في طريقي الإفراط والتفريط كالجود بين الإسراف، والبخل، والشجاعة بين الجبن والتهور.

والاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ "بجامع أن المنقلب يترك ما في يديه ويدبر عنه على أسوأ أحوال الرجوع، وكذلك المرتد يرجع عن الإسلام ويترك ما في يديه من الدلائل على أسوأ حال." (34)

﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (35)

(.. أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ ..) "الآية، لم يذكر المشبه ولا أداة التشبيه وهذا النوع يسميه علماء البلاغة "استعارة تمثيلية" وهي تشبيه حال بحال لم يذكر فيه سوى المشبه به فقط، وقامت قرأين تدل على إرادة التشبيه." (36)

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ (37)

الاستعارة التمثيلية في أحس، إذ لا يحس إلا ما كان متجسدا، والكفر ليس بمحسوس، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس. (38)

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا لِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبِأُوبُغْضٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (39)

﴿إِلَّا يَجْبَلِ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ أي لا يسلمون من الذلة بحال من الأحوال إلا في حال أن يكونوا معتصمين بالله تعالى أو كتابه الذي أتاهاهم وذمة المسلمين فإنهم بذلك يسلمون. فقد شبه التمسك بأسباب السلامة بالتمسك بالحبل الوثيق وقد تدلى من مكان عال. وهذا على سبيل الاستعارة التمثيلية.

الهوامش

- 1- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 229.
- 2- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص 825.
- 3- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 276.
- 4- الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص 229.
- 5- أبو بكر عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 53.
- 6- أبو العباس، البديع في البديع، ج 1، ص 1.
- 7- عبد العظيم بن الواحد، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ج 1، ص 5.
- 8- علي الجارم، البلاغة الواضحة، ج 1، ص 94.
- 9- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 277.
- 10- سورة البقرة: 171.
- 11- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ج 2، ص 341.
- 12- سورة البقرة: 257.
- 13- الصابوني، صفوة التفاسير، ج 1، ص 102.
- 14- سورة البقرة: 267.
- 15- محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ج 3، ص 59.
- 16- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 278.
- 17- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ج 1، ص 290.
- 18- علي الجارم، البلاغة الواضحة، ج 1، ص 94.

- 19- سورة البقرة:93
- 20- الصابوني، صفوة التفاسير ج1، ص48
- 21- سورة آل عمران:112
- 22- محمود صائي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه: ج4، ص279
- 23- سورة البقرة:93
- 24- الصابوني، صفوة التفاسير ج1، ص48
- 25- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص280
- 26- سورة إبراهيم: 1.
- 27- سورة الإسراء: 24.
- 28- سورة البقرة: 41
- 29- الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص29.
- 30- الميداني، البلاغة العربية، ج2، ص265.
- 31- سورة البقرة: 9.
- 32- الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج1، ص80.
- 33- سورة البقرة: 143.
- 34- محمود صائي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ج2، ص294.
- 35- سورة البقرة: 266.
- 36- الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص107.
- 37- سورة آل عمران: 52.
- 38- الدرويش، إعراب القرآن و بيانه: ج1، ص519.
- 39- سورة آل عمران:112.

المصادر والمراجع

1. ابن المعتز ، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: 296هـ)، البديع في البديع، الناشر: دار الجيل، الطبعة: الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م

2. الجرجاني ، عبد القاهر (المتوفى: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدّة، 1992م.
3. الجوهري ، إسماعيل (المتوفى: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، 1987م.
4. سيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، 1940م.
5. الميداني، عبد الرحمن حسن، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الناشر: دار القلم بدمشق، 1416 هـ.
6. ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي.
7. علي الجارم مصطفى أمين، البلاغة الواضحة ودليل البلاغة الواضحة، دار المعارف.
8. القزويني محمد بن عبد الرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت.
9. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، 1997م.
10. محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مع فوائد نحوية هامة، دار المعارف، مصر.
11. محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دمشق 1415 هـ
12. وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر ، دمشق، 1418 هـ.

